في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله هاهنا وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع
أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض
ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي
حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد
وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا علي بن عبد الله
ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه
الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي
أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فالذي
أنا فيه خير وفي بعض طرقه إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر
وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي
صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا
ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى
هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر
هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح

والأولى

والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في
صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد
بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه
الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية
من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل
هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر
الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة
الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي
رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة
لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه هجرا
ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء
في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب
فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه
لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال
استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب
رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن
النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)